﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ١١١﴾

[طه: 111]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

رَبْطُ إحاطةِ علم الله وعجزُ البشرِ بخشوع الأصوات والجوارح

بعد أن ذكرَ النَّظمُ الجليل خشوعَ الأصوات أتبعه في هذه الآية بخضوع الوجوه تعبيرًا عن ذلِّ الخلائق، وخضوعهم لله تعالى[1]، فذكر أنَّ خضوعَ الوجوه بعد خشوع الأصوات تأكيدٌ لأهوال يوم القيامة، وتقريرٌ لانتفاء الشَّفاعةِ لأحد من الخلق إلّا بإذنه ﷺ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَعَنَتِ﴾: (عنى/ عنا) أصلٌ دالٌّ على خُضُوعٍ وذُلٍّ، قَوْلُهُم: عَنا يَعْنُو؛ إذا خَضَعَ، والأسيرُ عانٍ، والعاني: الخاضِعُ المُتَذَلِّلُ، قالَ اللّه تَعالَى: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾، وهيَ تَعْنُو عُنُوًّا[3]، يقال لِلرَّجُلِ: عَنَوْتُ لَكَ، أي: خَضَعْتُ لَكَ، وأطَعْتُك، وعَنَوْتُ لِلْحَقِّ عُنُوًّا خَضَعْتُ، وكلُّ خاضِعٍ لِحَقٍّ أو غيرِه عانٍ، والاسمُ مِن كُلِّ ذَلِكَ العَنْوَةُ، والعَنْوَة: القَهْرُ، وأخَذْتُه عَنْوَةً، أي: قَسْرًا وقَهْرًا[4]، والمراد به في الآية الكريمة الخضوع والذُّلُّ، أي: ذلَّت، وخضعت، واستسلمت وجوه الخلائق كلِّهم[5].

2) ﴿خَابَ﴾: (خيب) أصْلٌ يَدُلُّ على عَدَمِ فائِدَةٍ وحِرْمانٍ، والأصْلُ قَوْلُهُم لِلْقِدْحِ الَّذي لا يُوري: هُوَ خَيّابٌ، ثُمَّ قالُوا: سَعَى في أمرٍ، فخابَ، وذَلِكَ إذا حُرِمَ؛ فلَم يُفِدْ خَيْرًا[6]، خابَ يَخيبُ خَيْبَةً:

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 349.
(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 9/ 154.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عنى).
(4) ابن منظور، اللسان: (عنا).
(5) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 349.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خيب).

حُرِم، ولَم يَنَلْ ما طَلَب، والخَيْبَة: الحِرْمانُ والخُسْران؛ وقَدْ خابَ يَخيبُ، وخَيَّبَه اللّه: حَرَمَه، وخَيَّبْتُه أنا تَخْييبًا، وخابَ؛ إذا خَسِرَ، وخابَ؛ إذا كَفَر، والخَيْبَة: حِرْمان الجَدِّ[1]، والخيبة: فوت الطَّلب وعدم الظَّفر بالبغية، ﴿فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [آل عمران: 127]، أي: لم يدركوا ما طلبوا[2]، والمراد به في الآية الكريمة: الخسران، أي: خَسِر خسارة ظاهرة[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يخبرُ النَّظمُ الكريم أنَّ وجوه العباد قد ذلَّت، وخضعت في ذلك اليوم للّه الباقي، الَّذي له الحياة الدّائمة، الَّتي لا فناء معها، الدّائم القيام بتدبير أمر خلقه، بإحيائهم وإماتتهم ورزقِهم، وسائر شؤونهم، والحال أنَّه قد خاب، وخسر من حمل في دنياه شِركًا باللّه تعالى، أو فسوقًا عن أمره سبحانه، ولم يقدِّم العمل الصّالح الَّذي ينفعه في ذلك اليوم[4].

ذُلُّ العباد وانكسارهم لربِّهم يوم الحساب، حيث خيبةُ كلِّ ظالم

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواو في ﴿وَعَنَتِ﴾:

عطف النَّظمُ الجليل الجملةَ في قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ على الجملةِ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾، وفائدةُ هذا العطف تقريرُ حال الخضوع والخشوع للعباد في ذلك اليوم[5].

خضوعُ الوجوه لله تعالى بعد أن خشعت الأصواتُ في المحشر الأعظم

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعل ﴿وَعَنَتِ﴾:

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالعنت في قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ

(1) ابن منظور، اللّسان: (خيب).
(2) السّمين، عمدة الحفّاظ: (خيب).
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 349.
(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 154 - 155.
(5) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 154.

حالُ النّاس يوم القيامة حالُ الأسير عند الملك

﴿لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾؛ للدَّلالة على شدَّةِ خضوعهم وعنتهم في ذلك اليوم، فهم خضعوا للّه تعالى خضوعَ الأُسارى في يد الملكِ القهارِ[1]، "قال الزَّجاجُ: يقال عنا يعنو عنوًا؛ إذا خضع، وذلَّ، وأعناه غيره، أي: أذلَّه، ومنه قيل للأسير: عانٍ، والجمع عناة، وقيل: هو من العناء بمعنى التَّعب... وخصَّ الوجوه بالذِّكر؛ لأنَّ الخضوع بها يتبيَّن، وأوَّل ما يظهر فيها"[2].

بلاغةُ المجازِ في إسناد العنتِ للوجوه:

الإصابةُ بالعناء في ذلك اليوم تبدو في الوجوهِ

أسندَ النَّظمُ الجليل العنتَ للوجوهِ، في قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾، والعناءُ إنَّما يصيب البدنَ، وإنَّما أسنده إلى الوجوه على طريقة المجاز العقلي[3]، والغرض من ذلك بيانُ شدَّة ذلك العنت، بحيث إنَّه قد استقرَّ، وتمكَّن من الوجوه.

دلالةُ (أل) في لفظ ﴿ٱلۡوُجُوهُ﴾:

وجوهُ الخلائقِ جميعًا سيصيبُها العناءُ آنئذٍ

آثرَ النَّظم الكريمُ التَّعبيرَ بالوجوه معرَّفةً بالألف واللّام الدّالَّةِ على الاستغراق، في قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ الوجوه جميعها، قد ذلَّت وخضعت، سواءٌ أكانت للمؤمنين أم لغيرهم، فالكلُّ يوم القيامة خاضع للّه تعالى، ومستسلمٌ لقضائه[4]، ويجوز أن تكون الجملة كلُّها تمثيلًا لحال المجرمين الذين جاء الكلام فيهم في قوله: ﴿وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا﴾ [طه: 102]، فاللام في الوجوه عوضٌ عن المضاف إليه، أي: وجوهُهم، وأمّا وجوه أهل الطاعات؛ فهي وجوهٌ يومئذٍ ضاحكة مستبشرة[5].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 43.
(2) القِنَّوجيّ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن: 8/ 280.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 311.
(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 154.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 311 - 312.

سرُّ ذكرِ ﴿لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾ دونَ سواهما:

الحيُّ القيّوم أظهرُ أسمائه تعالى في البعث والحساب

آثر النَّظمُ الكريم ذِكرَ الاسمين الجليلين الحيِّ والقيُّوم من أسماء الله تعالى الحسنى، في قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾؛ لأنَّ اسمَ الحيِّ يُثبت لله تعالى وصْفَ الحياة، والقيُّوم يدلُّ على أنَّ الله تعالى قائمٌ بتدبير النّاس، فلا يفوته تدبيرُ شيءٍ من أمورهم[1]، فخصَّ هذين الاسمين بالذِّكر، لمناسبتهما أحوالَ يوم القيامةِ.

دلالةُ (الواو) و(قد) في ﴿وَقَدۡ خَابَ﴾:

ليست كلُّ الوجوه تخيب يومَ القيامة

أجاز أئمَّةُ التَّفسيرِ أن تكون الواو للحال، أو للاستئنافِ في قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا﴾، فعلى جعلها حاليَّةً يكون التَّقديرُ: (ذلَّت جميعُ الوجوه لله تعالى يوم القيامة، والحال أنَّهُ قد خاب، وخسر مَن حمل في دنياه ظلمًا)[2]، وعلى جعلها استئنافيَّةً؛ فإنَّها تفيد الاحتراسَ، فليست كلُّ الوجوه التي وُصِفت بالعناء خائبةً، فمَن حمل ظلمًا؛ فقد خاب يومئذٍ، واستمرَّ عناؤه، ومن عملِ صالحًا؛ عاد عليه ذلك الخوف بالأمن والفرح[3]، واقترانها بـ (قد) يفيد تأكيد المضمون، فالخيبةُ مؤكَّدةٌ لمن حمل ظلمًا.

سرُّ إيثار الفعلِ ﴿خَابَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

أشدُّ الخسران وآلَمُ الخيبة فقدانُ المأمول من السَّعي

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفعل الدّالِّ على الخيبة دون غيره، في قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا﴾؛ لأنَّ الخيبةَ تدلُّ على الحرمان، وانتفاء الفائدةِ من السَّعي، فهو قد حُرِمَ، ولَم يَنَلْ ما طَلَب، فهو أدلُّ على شدَّة الخسارة من غيره، حيث اتَّصف الخائبُ بأنَّه قد سعى، وبذل الجهد، ولكنَّه فقد ما طلب ساعة احتياجه له، وجيء بالتَّعبير عن ذلك بصيغة الماضي تحقيقًا للخيبة وتأكيدًا لحصولها.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 312.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 43، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 155.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 312.

العدولُ عن الموصولِ (الّذي) إلى ﴿مَنْ﴾:

بيانُ أنَّ حَملَ الظُّلمِ وخيمُ العاقبة في كلِّ زمان ومكان

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالاسم الموصول ﴿مَنْ﴾ دون (الَّذي) في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾؛ للدَّلالة على العموم، فهو ليس مختصًّا بأحدٍ دون غيره، بل الحكم عامٌّ لكلِّ مَنِ اتَّصف بحمل الظُّلم في كلِّ زمانٍ ومكان.

دلالةُ حملِ الظُّلمِ في قوله: ﴿حَمَلَ ظُلْمًا﴾:

حملُ الظُّلمِ وارتكابُهُ علَّة للخيبة

عبَّر النَّظمُ الجليل عن ارتكاب الظُّلم في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ بأنَّه حمل، وفي ذلك دلالة على علَّة الخيبة، فهم بذلوا العناء، واجتهدوا في حمل العبء الثَّقيل، ولم يجدوا بعد ذلك الحمل الثَّقيل، غير الخيبةِ الَّتي نتجت عنه[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الخيبة والخسارة:

الخيبة أفدحُ من الخسارة، فهي فواتُ المطلوب، والخسارة النُّقصانُ فيه

الخيبة تدُلُّ على عَدَمِ فائدَةٍ وحِرْمانٍ، قالُوا: سَعَى في أمرٍ، فخابَ، وذَلِكَ إذا حُرِمَ؛ فلَم يُفِدْ خَيْرًا[2]، والخيبة: فوتُ الطَّلب وعدم الظَّفر بالبغية، ﴿فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [آل عمران: 127] أي: لم يدركوا ما طلبوا[3]، والخسارة من (خَسِرَ)، وهو أصْلٌ يَدُلُّ على النَّقْص، يُقالُ: خَسَرْتُ الميزانَ وأخْسَرْتُهُ؛ إذا نَقَصْتَهُ[4]، الخاسِر: الَّذي وُضِع في تجارته، وفي الكتاب العَزيز: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [النّازعات: 12]، أي: غَيْرُ نافِعَةٍ، وصَفَقَ صَفْقَةً خاسِرَةً، أي: غيرَ مُرْبِحَةٍ[5]، فعبَّر في الآية الكريمة بالخيبة، للدَّلالة على فوات المطلوب لا على نقصانه.

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 15/ 9398.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خيب).
(3) السّمين، عمدة الحفّاظ: (خيب).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خسر).
(5) الزّبيديّ، تاج العروس: (خسر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»